محاضرة مفرغة بعنوان:

«رمضان شهر الصبر»

لفضيلة الشيخ:

أبي محمد عبد الحميد الزعكري حفظه الله تعالى

نسأل الله أن ينفع بها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً،

بقيَ يومٌ على رمضان هذا الشهر المُسمَّى بشهر الصيام، انظُروا إلى هذا الإسم الذي تميَّز به هذا الشهر عن غيره مع أن الصيام في شعبان، وفي محرَّم، وفي غير ذلك من الشهور، إلا أن هذا الشهر لفرضيَّة الصيام فيه، سُمِّيَا بشهر الصيام والصيام عبادة جليلة، كُتِبَت على الأمم السابقة، وفُرِضَت على هذه الأمة كما قال الله عز وجل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

كُتِبَ عليكم، أي فرض وهو من أجلِّ العبادات، وأفضل القُرُبات، ولذلك جاءَ عن النبي صلى الله عليه وسلم «مَن صامَ يومًا في سبيلِ اللهِ باعدَ اللهُ وجهَه عن النارِ سبعين خَريفًا»

وأضافَ الله عز وجل الصوم إلى نفسِه، «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أُجزِي به» وسمَّى الله عز وجل هذا الشهر بشهر الصبر؛ لأن الناس يصبرون فيه على الجوع والعطش، ويصبرون فيه عن الملذَّات والشهوات،

فعلينا عباد الله أن نُحقِّق هذا المعنى الذي وُصِفَ به هذا الشهر، شهر الصوم لتصُم جوارِحُنا قبل الصيامِ عن الطعامُ والشرَاب، لتصُم جوارِحُنا عن المعاصِي والسيئات، لتصُم قلوبُنا، لتصُم أعيُنُنا، لتصُم أسماعُنا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلِ الزُّورِ وَالْعَمَلْ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» فالصوم عبادة جليلة، أن تترك الطعام والشراب والشهوة، ولكن أيضًا الصوم عن أعراض المسلمين، الصوم عن محارِم المسلمين، الصوم عن المخالفات الشرعية من الأمور المُهمَّة المحبوبة إلى ربِّ البريَّ سبحانه وتعالى شهر رمضان شهر الصوم، يصومُ فيه الكبار والصغار والرجال، والنساء، بل يصومُ فيه الكثير من العُصاة، ويصومُ فيه البدويِّ والقرويِّ والمدنيِّ شهرٌ عظيم، سمَّى الله عز وجل بابًا في الجنة لأصحاب هذه العبادة الجليلة، سمَّاه باب الريَّان، يدخلون منه يوم القيامة كرامةً لهم، وإعلاء لمنزلتهم، وتخصيص لفضلِهم شهر رمضان، شهر محبوب إلى الله سبحانه وتعالى، فعلينا أن نستعِد له بتوبتنا من ذنوبِنا السابقات، وبعزمِنا على طاعةِ ربِّنا في الأيام المُقبِلات وبتصحيحِ نياتِنا، وبحرصِنا على التأسِّي برسولِنا صلى الله عليه وسلم نعم عباد الله علينا أن نجتهِد، غاية الاجتهاد كما كان سلَفُنا يصنَع، ربما صامُوا في سفرِهم كما صامُوا في حضرِهم مع أن المُسافِر يجُوزُ له الفِطر، وقد يتعيَّن من خشيَ على نفسِه الضرر والمشقَّة، ليس من البرِّ الصوم في السفر ومع ذلك حين غزَ نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح، صامَ

كثيرٌ من الصحابة حتى أمرَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالفِطر بعد ذلك حتى يتقوَّوا على لُقِيَ عدوهِم الله عز وجل نوَّع العبادات من أجل أن يتسابِق المُتسابِق فعبادات يوميَّة كالصلاة، وعبادات سنويَّة كالحجِّ والصيام والزكاة وعبادات ماليَّة، وعبادات فعليَّة، وعبادات تركيَّة فالصوم عبادة تُترَك بها الملذَّات والرغَبات، وتلتزم فيها الطاعات والقُرُبات فلنُشَمِّر ولعظيم شأن الصوم في هذا الشهر أنه بصيامِ سنة، إذا أنضافَ إليه ستة أيام من شوال صيام عظيم، عبادة جليلة، تُرضِي الله، يستجيبُها الله، يتجاوز فيها الله سبحانه وتعالى عبادة، وإن كانت قد فُرِضَت على الذين من قبلنا إلا أنهم غيَّروا وبدَّلوا النصارى، حوَّلوا صيامَهم إلى الشتاء مع تغييراتٍ فيه حتى أصبحوا يأكلون ويشربون وإنما يمتنِعون عن شيءٍ من الطعام كاللُّحوم ونحو ذلك، واليهود غيَّروا وبدَّلوا وأهل الإسلام حفِظوا هذه العبادة، والتزمُوها، وأطاعوا الله فيها فأُكرِموا من الله برفع درجاتهم، وتكفير سيَّاتهم، والتجاوز عن معاصيهم ألا فلنُشمِّر جميعًا، ولنستعِد لاستقبال هذا الشهر، ولنفرح بعبادتنا فيه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ [سورة يونس]

نفرح بهذا الشهر، وبهذه العبادة التي فيه لأن الله عز وجل يُكفِّر بها سيَّئاتنا، لأن الله عز وجل يقبل فيه دعواتنا، لأن الله عز وجل يرفع به درجاتنا لأن الله عز وجل يُكرم المؤمنين بالكرامات العظيمات رُبَّ مُسْرِفٍ عَلَى نَفْسِهِ كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ ذَنْبَهُ بِصِيَامِهِ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «ورمضان إلى رمضان كفَّارة لما بينها إذا اجتنبت الكبائر»

أين تجِد هذا الفضل؟ أين تجِد هذا الخير؟ أين تجِد هذه النعمة؟ في غير طاعة الله سبحانه وتعالى لله عز وجل عُتَقاء من النار في كل ليلة من رمضان في كل ليلة كيف إذا صرتَ من العُتَقاء؟ صارَ أبوكَ من العُتَقاء صارَت أمُّكَ من العُتَقاء صارَ ابنُكَ من العُتَقاء صارَ جارُكَ من العُتَقاء صارَت زوجتُكَ من العُتَقاء نعمة،

نعمة عظيمة من اعتَقَه الله عز وجل من النار سلِمَ من حرِّها ومن قرِّها ومن سمومِها ومن عذابِها وأُكرِمَ بما أعدَّ الله عز وجل للمؤمنين من المكرُمات وعظيم الهِبات رمضان شهر الصيام معروف عند الخاص، والعام، حتى عند الكفار يعلمون أن هذا الشهر معظَّم عند المسلمين وهذه بركة من الله سبحانه وتعالى جعلَها في هذا الشهر يصومُ الصائم ولا يجِدُ التعبُ والنصَبِ الذي يجِدُه في غيرِه يقومُ القائم ولا يجِدُ التعبُ والنصَبِ الذي يجِدُه في غيرِه تُقبِل القلوب على طاعة الله، تسُّهل النفقات، تصلُح الأحوال فلنستغِل هذا الموسم العظيم هذه العطيَّة وهذه الهِبَة من الربِّ الكريم سبحانه وتعالى رمضان شهر الصيام أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين فُرِضَ صيام يوم

عاشوراء أن يمنعُ الأطفالَ من طعامِهم ويُعلِّلُوهُم حتى يعوَّد على الصيام فانظُر إلى هذه المزيَّة تعويد للصِّغار على الصيام لمحبَّة الله عز وجل للصيام لمحبَّة الله عز وجل لهذه العبادة العظيمة الجليلة تمتنعُ عن طعامُ وشرابٍ تنتفِع به بدنيًّا ودينيًّا وصحيًّا تنتفِع به في كثيرٍ من الشَّأن كم من إنسان يعمل حِميَه ويمتنع من الطعام والشراب طاعَ للأطباء أو حرصًا على سلامة نفسه أو نحو ذلك ونحنُ نصوم لله ونجد من القوة والنشاط والعون من الله عز وجل بسبب هذه العبادة الجليلة ما الله به عليم إذن ربُّنا عز وجل قد شرعَ لنا من أُمور ديننا ودنيانا ما يصلُح به حالُنا في دنيانا وفي آخرتنا الصيام علينا ألا نصوم عادة بعض الناس ربما يصوم عادةً يرى أباه يصوم، يصوم، يرى أمه تصوم تصوم أمر طيب الصيام ولكن نحنُ نتعبَّد لله نتعبَّد لله ولذلك لابد من تبييت النيَّة في الصيام ما يصلُح أن تصوم بدون نيَّة «إنما الأعمال بالنيَّات» ولا يصلُح أن تنوي من النهار لأن الله عز وجل يقول ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾

إلى أن تغرُب الشمس ولا يجوز أن تنتظر النجمُ الشاهدُ كما هو فعل الرافضة الذي أخذوه من اليهود بل إذا غرَبَت الشمس أفطَر الصائم في الشريعة وتعيَّن عليه هذا الفطر والنبيُّ صلى الله عليه وسلم كان يعجِّل الفطر ويؤخر السحور رمضان شهر الصوم يفرح المؤمن حين إفطاره ويفرح حين لُقيا ربِّه كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم «للصائم فرحتان يفرحُ بهما إذا أفطَر فرِحَ بفطرِه.. سواءً كان الفرح في آخرِ النهار أو كان الفرح في آخر الشهر، وإذا لقِيَ الله فرِحَ بصومِه» حين يجد الحسنات العظيمات المتكاثرات والأعمال الجليلات شهر الصوم "خلوفَ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" وليس المراد بالخلوف أن يترك الإنسان السِواك هذه الرائحة التي تنتج بسبب ترك السواك ليست بخلوف هذه قذارة في الفم إنما الخلوف ما يكون من المعدة ويتغير به الرائحة وإلا فالسواك مشروع قبل الزوال وبعد الزوال وما جاء من النهي عن ذلك لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فالشاهد أن خلوفَ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ما السبب؟ لحب الله للصيام لرضا الله بصيام لأمر الله عز وجل بصيام الصيام مدرسة في الصبر مدرسة،

قال النبي صلى الله عليه وسلم «إذا كان يوم صوم أحدكم فإن سابَّه أحدٌ أو شاتَمَه فليقل إني صائم» مدرسة والله لو أن الناس يستفيدون من شهر الصيام لاستفادوا أكثر من اجتهاد الطلاب في مدارسهم

يخرجوا من شهر الصيام صائمًا

يخرجوا من شهر الصيام قائمًا

يخرجوا من شهر الصيام محافظًا على صلاة الجماعة

يخرجوا من شهر الصيام محافظًا على قراءة القرآن

يخرجوا من شهر الصيام منفقًا

يخرجوا من شهر الصيام محبًّا للمسجد إنما في رمضان يعني تتنوَّع الطاعات وتكثر لموسمها وإلا فالشأن في غير رمضان كالشأن في رمضان سواء من عبادة الله عز وجل ﴿'يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)'﴾ [سورة البقرة]

شهر، رمضان شهر، الصيام شهر، القيام شهر، قراءة القرآن شهر، رضا الرحمن، كم نقول فيه وكم نصف لم يذكر الله عز وجل من الشهور باسمه في القرآن غير رمضان ﴿'شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾

أمرُ وحتمُ والصيامُ مدعاه إلى تقوى الله إلى مراقبة الله إلى رضا الله ﴿'يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)'﴾ [سورة البقرة]

شيءٍ عجيبٍ في هذه العبادة الجليلة شيءٍ عجيبٍ دينيًّا ودنيويًّا نحن نرى البركات في هذا الشهر لماذا لا نُقابِل هذه البركات بالطاعات؟

الفقراء يهَبُ الله لهم من الزكوات ما يُغنيهم عن غيرِه من الأشهر الأغنياء تتنوَّع مآكلُهم ومشارِبُهم الناس يُكسَون الناس يُكرَمون بركاتٍ في هذا الشهر فلنُجازِي هذه البركات بطاعة ربِّ الأراضين والسماوات وبشُكرِه على هذه النعم الكثيرة وعلى هذه الآلاء الغزيرة التي منحَنا الله عز وجل إياها رمضان شهر الصيام شهر يزدادُ فيه الإيمان لأن الله عز وجل يُرغم فيه الشيطان ويُقيِّد

وهكذا تُفتَح فيه أبواب الجِنان وتُغلَق فيه أبواب النيران فشمِّروا يا عباد الله واستعينوا بالله وتأسَّوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وانقادوا لشرع الله واثبُتوا على دين الله ولا يكُن حظُّكم في رمضان كحظِّ أهل البِدع الذين يُحيُون فيه الموالد أو يجتمعون على بِدعة قراءة "سورة يس" أو نحو ذلك من الأمور المُخالِفة لا، لنكن في رمضان على كتابٍ، وسُنَّة، وعلى هدي السَّلَف الصالح كما كُنَّا في غير رمضان هذا هو الشأن الله عز وجل لو أراد أن يُجوِّعَنا لأجاعنا في غير رمضان أو كيفما أراد لكن الله عز وجل أراد أن يختبرَنا هل نصوم على وفق الشريعة على وفق السنة نُخلِص لله عز وجل نُتابِع رسولَ

الله صلى الله عليه وسلم إذن الصيام الذي يُؤجَر صاحبُه عليه هو صيام النبي صلى الله عليه وسلم صيام الصحابة رضوان الله عليهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [سورة الأنعام]

أينَ هُمْ أَصْحَابِ الْمَوَالِدِ فِي رَمَضَانِ يَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ وَيَتَوَسَّلُونَ بِمَا لَمْ يَشْرَعُ اللَّهِ وَيَأْتُونَ بِأُمُورٍ لَمْ تَكُنْ بِكِتَابِ اللَّهِ الرَّافِضَة يُحَارِبُونَ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَيَأْتُونَ بِالْبِدَعِ وَالْمُنْكَرَاتِ،

وهكذا كثير من أهل البِدَع يُخالِفون إما بتأخير الفطر، وإما باستعجال السحور، وعمل الاحتياطات التي ما أنزلَ الله عز وجل بها من سلطان،

فشمِّروا في صيام رمضان كما صامَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام واجتهدوا في تحصيلِ ما تُرفع به درجاتُكم لاسِيما مِنَ الصَّلَاةِ عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّلَاةِ إِذْ كُنْتَ لَا تصَلِّي الضُّحَى عَوِّدْ نَفْسَكَ صَلَاةَ الضُّحَى عَوِّدْ نَفْسَكَ قِيَامِ اللَّيْلِ عَوِّدْ نَفْسَكَ التَّبكيرِ إِلَى الْمَسْجِدِ الدَّكَاكِين مُغْلَقَةَ وَالْأَعْمَالِ خَفِيفة عَوِّدْ نَفْسَكَ الدُّخُولِ إِلَى الْمَسْجِدِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ قَبْلِ الصَّلَاةِ وَبعْدِ الصَّلَاةِ عَوِّدْ نَفْسَكَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ عَوِّدْ نَفْسَكَ الْإِسْتِغْفَارِ رَمَضَانَ مَدْرَسَةً جَعَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَكْرُمَهُ لِمَنْ أَرَادَ تَوْفِيقَهُ وَتَسْدِيدَهُ وَعَوْنَهُ بدلَ أن تكونَ وحيدًا غريبًا زوجتُك صائمة، وولدُك صائِم، وجارُك صائِم، وأبوك صائِم، وصاحبُك صائِم لا تجِد وحشة، لا تجِد وحشة تدخل المسجد، تجد الجميع أمامك يزدحمون في مغربهم، في فجرهم، في ظهرهم، في عصرهم، في غير ذلك حتى التراويح التي بعضهم لا يُصلِّي قيام الليل، ولا يُصلِّي الوتر، وفي رمضان الجميع مُقبِل إذن نستغل لهذه الفرصة يا أخوة، ونجاهد أنفسنا، ونستعين بربِّنا سبحانه وتعالى ولنُخلِص له، ونبشِر من الله عز وجل بالخير العظيم، والفتح المُبين وجزَى الله أخانا عبد الله الجولحِي خيرًا على تقديمِه وترحابِه وجزاكم الله خيرًا على حُسن الاستماع والإنصات،

🤲ونسأل الله عز وجل أن يتقبَّل منا وإياكم وأن يعيننا على الصيام، والقيام، وقراءة القرآن وأن يوفِّقنا لكل خير، وأن يصرف عنا الشر والضير وإن شاء الله الكلمة بعد العشاء ستكون في مسجد سلمان وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

✍فرغها/ يونـس القـاضي غفر الله له ولوالديه